

خصائص المعجم المختص عند عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري
-كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب أنموذجا-
Characteristics of The specialized dictionary according to
Abd al-Razzaq Muhammad Ibn Hammadush al-Jazairi
Kachf er romouz as a model

د.كريمة أيت احدادن 

AIT IHADADENE KARIMA

جامعة آكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/11/18

تاريخ القبول: 2024/04/30 -

تاريخ الاستلام: 2024/09/22

الملخص:

يسعى بحثنا إلى إبراز جهود أعلام الجزائر في تأليف المعجم المختص خلال الفترة العثمانية (1515م-1830م)، بالتركيز على العلامة عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري (1695م-1785م) صاحب كتاب "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب" الذي يُعدّ من المعاجم القليلة في اختصاص التداوي بالأعشاب (الطب) المؤلفة في تلك الفترة في الجزائر. توصلنا من خلال دراستنا التطبيقية إلى إبراز القيمة العلمية لكتاب كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، فهو كتاب في الطب يضاهي الكتب المؤلفة في اختصاص التداوي بالأعشاب كالتذكرة لداوود الأنطاكي، وكتاب الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار، يتميز بالدقة في إيراد المفهوم مع ذكر ما يقابل المصطلح في بعض اللغات وكذا في اللهجات العربية العامية المستعملة في المغرب دون إغفال اللغة القبائلية أو البربرية كما يسميها صاحب الكتاب.

كلمات مفتاحية: المعجم، معاجم الألفاظ، معاجم المعاني، المعجم المختص، ابن حمادوش الجزائري.

Abstract

Our research highlights the efforts of the Algerian researcher in specialized dictionary during the Ottoman period (1515-1830), represented by Abd al-Razzaq Ibn Hammadush al-Jaza'iri, through his dictionary "Kachfer roumouz," which is considered a dictionary in the field of herbal medicine. Through our study, we have achieved to highlight the scientific value of Kashf al-Rumuz it is a medical book comparable to other books written in the specialty of herbal medicine, such as Al-Tadhkirah by Daoud Al-Antaki and Al-Jami' li-Faradat li-Mudhara by Ibn Al-Bitar. and what distinguishes the dictionary is the accuracy in stating the concept and its reliance on mentioning the equivalent in Arabic dialects. Used in Algeria, without neglecting the counterpart, in the Kabyle or Berber language, as he calls it.

Keywords: dictionary, Multi-Field Dictionaries, The specialized dictionary, Ibn Hamadouch al Jazairi

المؤلف المرسل: كريمة أيت إحدادن الإيميل: k.aitihadadene@univ-bouira.dz

Langues & Cultures / © 2025 The Authors. Published by the University of Adrar, Algeria.

This is an open access article under the CC BY license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>)

مقدمة:

برع العرب القدامى في العلوم اللغوية المختلفة كعلم النحو والبلاغة والعروض والمعاجم وقد اهتموا بالفرع الأخير -المعجم- اهتماما بالغا فظهرت عندهم مؤلفات كثيرة تضمنت أغلب الجوانب الفكرية والاجتماعية البسيطة التي طبعت حياة العربي الذي عاش في الصحاري والبادي وسط الحيوان والنبات والحشرات، تجسدت هذه الأخيرة في مؤلفاتهم التي كانت في البداية على شكل رسائل صغيرة سميت برسائل الموضوعات أو كتب الموضوعات، خصص بعضها للإبل وبعضها الآخر للفرس والشاة وأخرى للحشرات والنبات والسيف وغيرها، لم تتوقف جهودهم في تأليف الكتيبات الصغيرة بل تطور منهج البحث عندهم فنتج عنها معاجم لغوية بعضها عامة والبعض الآخر متخصصة .

نسعى من خلال بحثنا الموسوم " خصائص المعجم المختص عند عبد الرزاق محمد ابن حمادوش الجزائري من خلال كتابه كشف الرموز" الإجابة عن الإشكالية الآتية:

- ما هي أبرز جهود العرب القدامى في التأليف المعجمي؟ وما هي الأنواع التي برعوا فيها؟
 - متى عرف العرب المعجم المختص؟
 - ما هي المصادر التي استقى منها عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري مادته اللغوية في كتاب كشف الرموز؟ وهل يمكن تصنيفه ضمن المعاجم العربية المختصة؟
 - ما هو المنهج الذي اتبعه ابن حمادوش في عرض مواد كتاب كشف الرموز؟
- اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي لأنه الأنسب في الجانب النظري المتمثل في عرض جهود العرب في تأليف المعجم عامة والمختص خاصة ، أما في الجانب التطبيقي فقد قمنا بدراسة وتحليل بعضا من مداخل كتاب "كشف الرموز" (المدونة) من أجل الكشف عما يميز كتاب كشف الرموز من خصائص كالترتيب والشرح والشواهد واعتماد المقابل في اللغات المعروفة عند المؤلف .

1-القسم النظري:

2-التأليف المعجمي عند العرب :

عرف العرب التأليف والتدوين في وقت مبكر وقد كان الدافع إلى ذلك اهتمامهم بالقرآن الكريم وعنايتهم بشرح مفرداته وتبيان ما استشكل فهمه، وتعود فترة بداية البحث والتأليف في هذا الباب إلى "بدايات القرن الأول الهجري، فقد عُني المسلمون منذ تلك الفترة بمفردات القرآن، وخاصة ما يسمى منها بالغريب، وشغلوا بتأويلها والبحث في دلالاتها اللغوية الدقيقة" (بن مراد، 1993، صفحة 19) ومن أشهر الكتب التي ألّفت في موضوع الغريب نذكر كتاب غريب القرآن لابن عباس (ت 68هـ)، كتاب غريب القرآن لابن عبيد (ت 231هـ)، كتاب غريب القرآن المسمى بزهة القلوب للسجستاني (ت 330هـ) وكتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت 502هـ) وغيرها من التأليف والمصنفات التي شكّلت اللبنة الأولى للتأليف عامة والتأليف المعجمي خاصة، غير أنّ هذه الكتب لم تعنى

بدلالات كل ألفاظ اللغة العربية، إنما خصّت المفردات الدّخيلة على اللغة العربية والواردة في القرآن ولم يألف العربي استعمالها في أحاديثه من قبيل: القسطاس، السراط، استبرق، سندس،.... وغيرها من الألفاظ الخاصة بالقرآن الكريم.

هذا ويلاحظ المتتبع لعملية التأليف في المعاجم العربية القديمة أنها تنقسم إلى قسمين كبيرين: معاجم للألفاظ وأخرى للموضوعات أما النوع الأول فيهتم بشرح المفردات المرتبة ترتيباً ألفبائياً أو صوتياً، حيث تقدم المفردة مقرونة بجميع مرادفاتها والشروح التي من خلالها يُفهم معناها، مدعمة بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعراً أو نثراً كان، تجسدت معاجم الألفاظ بصورة فعلية مع معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، إذ يعدّ معجمه بداية التأليف المعجمي الخاص بترتيب كلمات اللغة العربية، مبتدعاً في ذلك طريقة فريدة في ترتيب المواد سميت بطريقة الترتيب الصوتي أو طريقة التقليبات التي اعتمد فيها "على أساس تقسيم الأصوات حسب مخارجها الصوتية ثم ترتيبها على هذا الأساس من أقصى الحلق إلى حروف الشفة. فقد بدأ الخليل بالحروف الحلقية (ع، ح، هـ، خ، غ) ثم اللهوية (ق ك) ثم الشجرية (ج ش ض) فالأسلية (ص س ز) فالنطعية (ط د ت) فاللثوية (ظ ث ذ) فالذلقية (ر ل ن ف ب م) فالهوائية (واي)" (نصار، 1985، صفحة 41) معتمداً مخارج الحروف فقد رأى أن حرف العين هو الحرف الوحيد الذي لا يعتري الهواء عقبات أو حواجز عند إصداره أو النطق به، كما اعتمد فيه أساس التقليبات أي قلب أماكن حروف الكلمة، للحصول على أكبر قدر من المواد اللغوية وهو أساس رياضي، فالكلمة التي تتكون من حرفين ينتج عنها صورتان والثلاثية يتولد عنها ستة أوجه والرباعية ينتج عنها أربع وعشرون وجهاً، والخماسية ينتج عنها مائة وعشرون صورة وهكذا، ومثال ذلك كلمة (لعب) فبممارسة أساس التقليب أي تغيير مواضع الحروف نتحصل على: (لعب- لبع- بلع- بعل- علب- عبل)، وقد لجأ الخليل لأساس التقليب ليتمكن من إحصاء جميع الكلمات العربية المستعملة ولا يعني أنّ جميع التقليبات استعمالها العرب، بل منها المستعمل والمهم.

سار على نهج الخليل العديد من المعجميين نذكر منهم ابن دريد (ت 321هـ) في كتابه الجهمرة في اللغة، القالي (ت 356هـ) في كتابه البارع في اللغة، الأزهري (ت 370هـ) في كتابه تهذيب اللغة، الزبيدي (ت 379هـ) في كتابه مختصر العين، وابن سيدا (ت 458هـ) في كتابه المحكم والمحيط الأعظم.

هذا ولم لم تتوقف جهود المعجميين العرب القدامى على طريقة الخليل في ترتيب المداخل فقد اهتموا إلى طريقة أسهل وأيسر في إدراج معاني الكلمات في معاجمهم ممثلة في "النظام الألفبائي القائم على ترتيب الكلمات حسب أوائل أحرفها وفق النظام الألفبائي العادي مع مراعاة الحرف الأول من الكلمة فقط وقد عرف هذا النظام مع أبي عمر إسحق الشيباني (ت 713هـ) في معجمه الجيم، ومع الإمام البخاري في كتابه التاريخ الكبير الذي رتب فيه أسماء الرجال حسب النظام الألفبائي العادي" (يعقوب، 1985، صفحة 100) إذ شكلت طريقة ترتيب الشيباني خطوة جديدة وسهلة لترتيب المداخل -مقارنة بطريقة الخليل - لأن هذه الأخيرة تعتمد الترتيب حسب الحرف الأول فالثاني للكلمة بعد تجريدتها من الزوائد ومن أشهر المعاجم التي اتبعت الترتيب الألفبائي نذكر: معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت 538هـ)، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت 666هـ)، والمصباح المنير للفيومي (ت 77هـ)، كما اهتموا إلى طريقة أخرى في الترتيب الألفبائي التي تركز الحرف الأخير للكلمة سميت هذه المعاجم بمعاجم القافية ومن أشهرها:

معجم لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ)، تاج العروس وصحاح العربية للجوهري (المتوفى 393هـ)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (المتوفى 817هـ)، مختار الصحاح لأبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 660هـ).

هذا عن أشهر معاجم الألفاظ عند العرب أما النوع الثاني من المعاجم العربية القديمة يُطلق عليها تسمية معاجم الموضوعات أو معاجم المعاني وفيها يُخصص لكل معجم موضوع معين كالمطر، الألبسة، الشجر، النبات، الحيوان.... وغيرها من الموضوعات التي اعتنى العرب بها، يُعتمد في ترتيب مداخلها على ما يسمى بالأساس الموضوعي حيث يقسم الكتاب إلى موضوعات وليس إلى مفردات وبعد ذلك يدرج المؤلف كل الألفاظ التي تندرج في الموضوع نفسه "فالباب نفسه أو الموضوع أو المعنى هو الذي يتحكم في العرض للألفاظ لذلك تسمى تلك المعاجم أيضا بمعاجم المعاني" (ياقوت، 2002، صفحة 22) وهذا النوع من المؤلفات مفيد للدارس عامة والمتخصص خاصة، فهي تعين على إيجاد الألفاظ والمفردات التي تنتمي إلى موضوع أو حقل دلالي معين، وقد خصص علماء اللغة العرب القدامى رسائل وكتيبات في عدة موضوعات "فألف أبو زيد الأنصاري (توفي سنة 215هـ) كتابا في المطر وكتابا اللين وألف الأصمعي (توفي سنة 214هـ) كتبا كثيرة كل كتاب في موضوع منها كتاب النحل والعسل، ولابن الأعرابي (توفي سنة 231هـ) كتاب في الذباب وألف النضر بن شميل (توفي سنة 241هـ) كتابا في الفرس" (سكين، 1981، صفحة 19). وذلك باتباع منهجية واضحة أساسها عقد أبواب وفصول للمسميات التي تتشابه في المعنى أو تتقارب، وكانت طريقة أبي عبيد (ت224هـ) من أولى المراحل التي بدأ فيها التأليف اللغوي في -هذا الباب- من خلال كتابه "الغريب المصنف". 2- المعجم العلمي المختص في التراث العربي :

نقصد بالمعجم المختص ذلك النوع من المعاجم التي تزود الباحث بمفاهيم المصطلحات الخاصة بعلم ما أو فن معين وعليه "فالمعاجم المتخصصة تتضمن قواميس المصطلحات المستعملة في فروع المعرفة المختلفة كالمصطلحات المستعملة في البيولوجيا والعلوم الطبيعية والرياضية والتربوية وغيرها وشرح هذه القواميس تلك المصطلحات شرحا علميا وافيا." (الحمد، 2003، صفحة 65)، وعليه فالمعجم المختص "يعالج قسما واحدا من المفردات ويختص بأحد فروع المعرفة.... وهدفه مساعدة القارئ على معرفة معاني لغة حقل معين من حقول المعرفة ومصطلحاته" (القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، صفحة 64) فالباحث المتخصص في الطب -مثلا- تلزمه معاجم مختصة في علوم الطب المختلفة تساعد في حصر مصطلحات الأمراض مع بيان مفاهيمها الخاصة التي يذكر فيها أسبابها وأعراضها وأدويتها في كتاب واحد، فتقسيم هذه المصطلحات بحسب موضوعات العلم، تساعد الباحث المتخصص على توضيح مفهوم المصطلح وعلاقته بالمصطلحات الأخرى المنتمية إلى الحقل الدلالي الواحد.

تشكلت البدايات الأولى لاهتمام العرب بالمعجم المختص بعد الانفتاح على الثقافات المجاورة لهم كالفرس والروم وخاصة بعد اطلاعهم على كتب الطب والصيدلة "وقد بدأ هذا المنحى في الظهور عند العرب منذ القرن الثالث الهجري وتواصل حتى القرن الثاني عشر" (مراد، 1993، صفحة 41)، أما أسباب التأليف في هذا الباب عديدة منها ما تعلّق بالدين والشريعة كظهور العلوم الدينية كالفقه وأصول الفقه، علم المقاصد، علم الآلة وغيرها من المباحث التي نتج عنها ظهور مصطلحات جديدة دخلت ساحة العربية فاستدعت من العلماء العرب تصنيف معاجم خاصة حسب مجالاتها المعرفية "وبدئ بها في العلوم الدينية واللغوية، ثم طبقت فكرتها على العلوم الأخرى من إنسانية وطبيعية ورياضية" (مدكور، 1972، صفحة 17).

ضف إلى ذلك أسباب أخرى متعلقة بالسياسة التي انتهجها أمراء الدولة العباسية فقد شجعوا على الانفتاح على الثقافات الأخرى والاطلاع على علوم الأمم المجاورة من الفرس والروم، فقام الخليفة العباسي المأمون (198هـ-218هـ) بتحفيز المترجمين على ترجمة العلوم غير العربية الموجودة عند غيرهم وتجسد ذلك بإنشاء أول مؤسسة عربية مختصة في الترجمة سيمت "بيت الحكمة" مشجعا بذلك العلماء العرب على ترجمة ونقل العلوم ومن أهم الاختصاصات التي نقلت إلى الثقافة العربية الطب، والفلسفة وعلم الحساب والفلك

وغيرها من العلوم التي لم تكن معروفة لديهم، وقد كانت الترجمة في أول الأمر من السريانية إلى اللغة العربية "لم يلبث العرب إلا قليلا ثم عرفوا ما في الترجمات السريانية من ضعف فعدلوا عنها وأقبلوا على الكتب اليونانية فنقلوها إلى العربية مباشرة." (حسين، دس، صفحة 18) ومن الكتب التي اعتنوا بترجمتها كتاب المقالات الخمس لديوسقوريدس وكتاب الأدوية المفردة لجالينوس، لم تتوقف جهودهم عند الترجمة بل ألفوا كتباً ومعاجم مختصة في العلوم المختلفة ومن أشهر المعاجم المختصة بحقل الطب والأدوية التي ألفها العرب قديماً نذكر:

-كتاب "الاعتماد في الأدوية المفردة" لصاحبه ابن الجزار القيرواني المتوفى سنة 400هـ.

-كتاب الصيدنة في الطب للبيروني (440هـ)

-كتاب الدوية المفردة لأمية بن أبي الصلت الأندلسي (529هـ)

-كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار.

-كتاب التذكرة داود الانطاكي وعنوان الكتاب كاملاً هو تذكرة الألباب والجامع العجب العجائب وهو كتاب في الأعشاب والعقاقير الطبية.

من خلال المؤلفات وأسماء الأعلام المذكورة -أعلاه- يلحظ الدارس أن الاهتمام بالمعجم المختص بالطب والأدوية استقطب اهتمام العرب من كل الأقطار التي تواجد بها العرب في المشرق والأندلس والمغرب وفيما يلي سنقوم بدراسة خصائص المعجم المختص عند ابن حمادوش الجزائري من خلال كتاب كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب.

-القسم التطبيقي:

-1-التعريف بعبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري:

يعدّ ابن حمادوش الجزائري أحد علماء الجزائر الذين عاشوا في الفترة العثمانية "هو أبو الحسن عبد الرزاق بن الحاج محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، 1107هـ/1695م، وتوفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان وتاريخ مجهولين وقد درس في وطنه وتزوج به وتقلّد بعض الوظائف الدينية، ولكنه منذ العشرينات من عمره أخذ يجوب العالم الإسلامي بدأً بذلك بالحج ثم حملته قدماءه إلى المغرب الأقصى والمشرق، وكان والده يعرف بالحاج محمد الدباغ، وقد كانت عائلته من الأغنياء، إلا أن ابن حمادوش عاش فقيراً لأنه امتن العلم لا الدباغة." (حمادوش، 1983، صفحة 09)

يُعرف ابن حمادوش بتعدد اختصاصاته فقد اهتم "بمجموعة من العلوم من بينها الطب والفلك كما كتب عن نفسه وهو في عز شبابه سنة 1145 هـ، حيث أصبح طبيباً وصيدلياً وعشّاباً، كما أنه كان كثير الاطلاع على كتب الطب قديماً العربية والأجنبية قرأ ولخص تأليف ابن سينا وابن البيطار..." (سعدالله، 1998، صفحة 428) استفاد ابن حمادوش من رحلته العلمية أيّما استفادة فقد كان ينضم إلى الحلقات العلمية في المساجد أو خارجها في كل البلدان التي زارها، ففي المغرب درس على يد كل من أحمد الورززي ومحمد البناني وتحصّل منهم على إجازات سجلها في الجزء الثاني من كتابه "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" كما تتجلى المكانة العلمية لابن حمادوش من خلال كثرة اختصاصاته التي تظهر واضحة في كثرة مؤلفاته التي وصلنا بعضها ولم يصلنا بعضها الآخر، لقد ذكرها أبو القاسم سعد الله في أبحاثه ومؤلفاته على هذا النحو: (سعدالله، 1998، الصفحات 429-430)

-كتاب "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" وقد حققه المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله وطبع أول مرة في الجزائر سنة 1983.

-كتاب الجوهر المكنون في بحر القانون.

-كتاب تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج.

-كتاب في الاسطرلاب والربع المقنطر: تحدّث عنه في كتاب الرحلة ولكن لم يذكر عنوانه.

-كتاب في القوس الذي يأخذ به الأوروبيون ولم يذكر له عنوانا.

-كتاب في الرّزنامة ولم يذكر له عنوانا.

-كتاب كارطة أو خارطة وهو كتاب في رسم اتجاهات رياح البحر دون أن يذكر عنوان لها.

-تعليق على ألفاظ الديباجة الواردة في كتاب ابن سينا.

-بغية الأديب في علم التكعيب.

-فتح المجيب في علم التكعيب ألفه بعد أن اطلع على كتاب للأوروبيين في المساحة والهندسة وانتهى منه سنة 1160هـ.

-كتاب في الطاعون الذي أصاب الجزائر في زمنه ولكن لم يذكر عنوانه.

-كتاب كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، الذي خصصنا بحثنا لدراسته والتعريف به إذ يُعدّ مصدرا مهما في موضوع الأعشاب وطرائق التداوي بها وإن كان في المعجم مواد أخرى غير النباتات كالمعادن ولكنها قليلة مقارنة بالنباتات، وهذا ما جعلنا نصنّفه ضمن كتب المعاجم المتخصصة.

2- المنهجية المتبعة في كتاب كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب:

اعتمدنا في دراستنا التطبيقية على النسخة المصورة بصيغة (pdf) لأنه تعدّ علينا الحصول على النسخة الورقية الأصلية التي ألفها ابن حمادوش بلغة واحدة أي باللغة العربية، أما النسخة التي قمنا بتحميلها من الانترنت عبارة عن نسخة ثانية للكتاب (ثنائية اللغة) ترد فيها النصوص الأصلية للمؤلف بالعربية متبوعة بترجمة تلك النصوص إلى اللغة الفرنسية التي قام بها الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك (Lucien Leclerc) "الذي عرفه بواسطة أحد الجزائريين سنة 1861م، طُبِعَ الكتاب أول مرة بباريس سنة 1874م وجاء في 397 صفحة، ثم أعيد طبعه بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، وبعدها ترجم إلى اللغة الفرنسية في الجزائر سنة 1323هـ-1903م وطبعته مطبعة ديلورد براهيم ومرنيال باعتناء المستشرق جبريت كولين سنة 1323هـ-1905م" (سعدالله، 1998، صفحة 432).

وعليه يمكن القول إنّ للكتاب نسختان نسخة أصلية مكتوبة باللغة العربية فقط قليلة جدا، ونسخة ثانية على شكل معجم ثنائي اللغة (العربية والفرنسية) وهي النسخة الثانية لكتاب "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب" التي ظهرت سنة 1905م، بعد أن اطلع الفرنسي لوسيان لوكليرك (Lucien Leclerc) على النسخة الأصلية وإعجابه بما ورد في الكتاب من معلومات طبية في اختصاص التداوي بالأعشاب، قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية سنة 1903م دون حذف النصوص الأصلية المكتوبة باللغة العربية، انتشرت النسخة الثانية (المترجمة) لأنها الأكثر تداولاً بسبب توفرها على شبكة الانترنت أما النسخة الأصلية أي المكتوبة باللغة العربية فقط فهي قليلة جدا كما ذكرنا.

1-2 عنوان الكتاب :

يعدّ العنوان مفتاح الكتاب وظيفته تبيان أسرارهِ والكشف عن العناصر الخفية فيه وقد كان من عادة أغلب المؤلفين العرب القدماء صياغة عناوين مختصرة ومسجوعة لتصانيفهم، فكلما جاء العنوان مختصراً مسجوعاً حصل الإقبال عليه، وعلى هذا اختار ابن حمادوش الجزائري لمعجمه جملة متوسطة الطول واضحة المصطلحات وهي "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب" مستهلاً العنوان بعبارة "كشف الرموز" مركبة من كلمين الأولى "كشف" والثانية "الرموز" أراد المؤلف من خلال العبارة الكشف والتوضيح وفك الغموض عن أسرار الأعشاب الطبية من خلال شرح رموزها الخاصة بأسمائها وأصل منبتها وكيفية استعمالها ومقدارها في علاج الأمراض.

2-2- طريقة ترتيب المداخل أو المواد:

نعني بالمدخل أو المادة مجموع الكلمات الواردة في المعجم وقد يعتمد المؤلف في ترتيبها طرائق عديدة -كما ذكرنا سابقاً- أما الطريقة التي اعتمدها ابن حمادوش الجزائري فهي الألفبائية المعروفة، فقارئ المعجم لا يجد صعوبة في الوصول إلى مفاهيم المصطلحات الطبية الخاصة بأسماء النباتات نظراً لاعتماد مؤلف المعجم الترتيب الألفبائي النطقي في إيراد المصطلحات، أي بحسب ألفاظها دون تجريد، مما يُغني الدارس البحث عن أصل الكلمة أو جذر الكلمة كما هو الحال في الترتيب الألفبائي الجذري، ولعلّ اعتماد هذا الترتيب يسهل على قارئ المعجم الوصول إلى المصطلح الذي يبحث عنه من غير أن يبحث عن صورة الكلمة في أصل وضعها، وقد أورد ابن حمادوش عدداً كبيراً من المواد (المصطلحات) بلغ عددها 987 مدخلاً متنوعاً بين أسماء النباتات والمعادن، يبتدئ بحرف الألف يتوقف عند حرف الياء إلا أنه يهمل حرفا الغين والضاد فلا يذكر فيهما أي مادة أو مدخل ولعل السبب - في نظرنا - يكمن في عدم وجود مواد أو مصطلحات في حرفي الغين والضاد.

3-2- تحديد الحقل المعرفي:

تُعرف المعاجم المتخصصة بالتحديد الدقيق للحقول المعرفية للمواد الداخلة في المعجم وفيما يخص كتاب كشف الرموز نجد صاحبه يقدم فيه المصطلح دون تجريده من الحروف الزائدة -كما ذكرنا- محدداً الحقل المعرفي للمصطلح من خلال التعريف أو الشرح، فقد يطيل أحياناً في ذكر أوصاف النباتات وقد يختصر حسب منافعتها وطرائق استعمالها، كما تضمن الكتاب حقولاً معرفيةً محدّدة وهي:

-حقل النباتات.

-حقل المعادن.

- حقل الأمراض.

-حقل الحيوانات.

أما الحقل الأول أي النباتات فيمثله نسبة كبيرة من المداخل وهي في المعجم كل النباتات التي ذكرها من بداية المعجم إلى نهايته مثل أفيون، إكليل الجبل، إكليل الملك، أفستين، أستبون، أصطرك، أنيسون... الخ ، ويسلك المؤلف طرائق عديدة لشرحها كالوصف، وذكر أصلها ومسمياتها في المغرب والمشرق وفي لغات أخرى (كالفارسية واليونانية والتركية) ومثال ذلك قوله في تعريف أرجوان: "وبالفارسي أرغوان شجر زهره أحمر قانٍ حار في الأولى....." (الجزائري، 1996، صفحة 56).

أما حقل المعادن فقليل مقارنة بحقل النباتات يذكر فيها أسماء بعض المعادن مثل: (إِنَّك) وهو القزدير، الرصاص، الأثمد، أسْفِيداج، أثل، (أزورد: وهو حجر أرميني لونه كلون السماء)، وغيرها من المعادن المذكورة في الكتاب.

أما حقل الحيوانات فهو قليل مقارنة بالحقلين الآخرين ومن أمثلته: حيوان "اسقنقور: هذا اسمه في بلدنا إلا أنه قليل والجيد لا يوجد عندنا وهو حيوان مثل الزرمومية...." (الجزائري، 1996، صفحة 24)، كما يذكر حيوانات أخرى مثل الأرنب، الكبش، الحنش (الشعبان)، الفأر، الوز... إلخ

أما فيما يخص حقل الأمراض فلم يفرد له ابن حمادوش مداخل خاصة وإنما أوردتها في الشروح التعريفات، ولا يكاد القارئ يحصيها من كثرتها، والسبب في ذلك يعود للغرض الذي من أجله أُلّف الكتاب وهو التداوي بالأعشاب ومن أمثلة ذلك تعريف مصطلح (البنفسج) الذي شرحه على هذا النحو: "بنفسج فهو اسمه عندنا بارد في الأولى رطب في الثانية ينفع من العلل الصفراوية والالتهاب في المعدة والأمعاء، ومن الصداع" (الجزائري، 1996، صفحة 74) من خلال التعريف تتبين لنا المصطلحات الخاصة بحقل المرض وهي العلل الصفراوية، الالتهاب في المعدة والأمعاء، الصداع كما ذكر غيرها في ثانيا المعجم مثل: اليرقان، الجرب، داء المفاصل، الإسهال، الإمساك، المزمن، الأورام، الخفقان... إلخ

4-2- ضبط المفاهيم:

يسعى المعجمي المختص لضبط المفاهيم بالتركيز على ماهية المصطلح قيد التعريف، ولهذا الغرض يستعين ابن حمادوش لضبط المفاهيم بالتعابير المباشرة حيث لا يعتمد الإطالة في الشرح إلا في بعض الحالات كما يلجأ لتوظيف اللغات المتداولة في الجزائر كالبربرية الأمازيغية في أمثلة دون غيرها "بازرنجويه، وبالبربرية تيزيزويت وهو حب الترنجان...." (الجزائري، 1996، صفحة 74)، كما يلجأ إلى توظيف عبارات خاصة بأحوال النباتات التي كأن يقول حار في الأولى يابس في الثانية أو حار في الثانية يابس في الثالثة ومقدار تناوله للاستشفاء به مثل ما نجد في تعريف مصطلح باذرونج إذ يقول فيه: "بازرونج: هو الحبق القرنفلي ويقال له بارنجمشك وفرنجمشك وهو الحبق النهري ويُصلح الدِّماغ من جميع البرد والرطوبة، وخاصة النفع من استرخاء العصب وإذهاب النسيان، وشَمّه يحدث، بدله حبق بستاني حار في الثانية يابسة في الثالثة، شربته إلى ثلاثة ومن مائة إلى عشرة." (الجزائري، 1996، صفحة 74) يتضح من خلال التعريف الإحاطة بالمفهوم لتوضيحه وخاصة من ناحية الوصف وكيفية الاستعمال وتبيان الأمراض التي يتم معالجتها.

5-2- تبيان أصل المصطلح:

تعتمد المعاجم المختصة إلى تقديم أصل المصطلح دون إغفال المقابل المستعمل في اللغات الأخرى وهذا ما وجدناه في كتاب كشف الرموز فابن حمادوش حريص في مسألة تبيان أصل المصطلح نباتا كان أو غيره وأكثر الأصول التي ذكرها من اليونانية أو الفارسية ومثال الأول قوله في تعريف كلمة أفسنتين: "يوناني وهو شجرة مريم في الجزائر وفي فاس شيبة العجوز...." (الجزائري، 1996، صفحة 13) ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا الطريقة المتبعة في تحديد أصل كلمة (أفسنتين) يقول بأنها يونانية الأصل دون أن يقدم الكلمة في الأصل اليوناني، ثم يقدم مقابله في اللغة العربية أي لهجة الجزائر أي شجرة مريم، كما يقدم مقابله في لهجة المغرب يمثلها بلمجة مدينة فاس، والكلمات اليونانية في المعجم كثيرة نذكر منها: الأغاريقون، أفثيوم، أسطوخودس، أومالي، أناغلس، أناغورس، إيرنج، إيماروقاليس، أكلوقينون..... وغيرها كثير في الكتاب.

ومثال الثاني أي اللغة الفارسية كلمة "أسفيداج: فارسي معرب وهو بياض الوجه ويقال أسفيداج الرصاص ورماد الرصاص..." (الجزائري، 1996، صفحة 22) وكذلك في تعريفه كلمة أملج يقول: "أملج وبالفارسي آمله وهو الأملس من أنواع الإهليلج بارد يابس..." (الجزائري، 1996، صفحة 25) ومعرفته للغات كانت نتيجة لكثرة تنقلاته ورحلاته وشغفه بالمعارف والعلوم.

كما نجده يقدم إضافة نوعية في معجمه متمثلة في اعتماده على اللغات المتداولة في الجزائر كاللغة العربية العامية فأحيانا يكتفي بتقديم المقابل باللغة العربية المحلية أو كما يقول لغة العامة. كما هو الحال في تعريف مصطلح الأفيون حيث يقول فيه ويقال له في لغة العامة العفيون، كما أنه يذكر المقابل باللهجة القبائلية أو البربرية وتجدر الإشارة إلى أنه لا يلتزم بمصطلح واحد مستعملا مصطلح اللغة البربرية في مواضع ومصطلح القبائلية في مواضع أخرى للدلالة على اللهجة القبائلية ومثال الأول تعريف مصطلح (أسل) إذ يقول فيه: "أسل: هو السمار حار في أول الثانية يابس في آخر الثانية وأصله... واسمه بالقبائلية أدلس" (الجزائري، 1996، صفحة 74) أما مثال الثاني يظهر في تعريف مصطلح أشقاق إذ يقول فيه: "أشقاق: هو حبيقة الصدر والبربرية تأساس" (الجزائري، 1996، صفحة 31) وهذا دليل على أن المعجم موجه لكافة الجزائريين المتعلم وغير المتعلم وللناطقين بغير العربية أيضا. هذا ولا يكتفي بهذه اللغات فنجد أحيانا يلجأ للمقابل في اللغة التركية ونجد ذلك في تعريفه لكلمة "أمبر باريبي: بارد يابس في الثالثة وهو أرغيفس وبالتركية هردان بهار ويقال له قادن توز، وهو حب أحمر كحب عنب الذئب..." (الجزائري، 1996، الصفحات 36-37) وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على اهتمامه باللغة التركية وإحاطته بها.

2-6-الإحالة:

يعتمد ابن حمادوش على الإحالات في تعريف أغلب المصطلحات الواردة في المعجم وهذا دليل على نزاهته واتصافه بالأمانة العلمية والتواضع العلمي فهو يذكر المصادر التي استقى منها مادته العلمية في ثنايا التعريفات والشروح، وأهم المصادر التي يذكرها كتاب تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب لداوود الأنطاكي وكتاب القانون لابن سينا المعروف بطبيب العرب، كما يذكر ابن البيطار أيضا إذ نجده يستشهد بالأنطاكي وابن البيطار في تعريف الأقحوان، يقول: "أقحوان هو البابونج الأبيض ولا أعرف غيره أقرب شها من الكافورية بل صحّ ابن البيطار أنه الكافورية وهي المسماة في فاس شجرة مريم وكذا صححه الأنطاكي..." (الجزائري، 1996، صفحة 36)، كما يستشهد بجالينوس الطبيب اليوناني، كما لجأ للاستشهاد بالحديث الشريف في تعريف (الأثمدة) والقرآن الكريم في تعريف (العسل). ومن خلال دراستنا للتعريفات الواردة في كتابه يتضح لنا أنه أخذ من كتب كثيره كابن ماسويه، والإدريسي، والسنوسي، وزروق، والقزويني وغيرهم وهو ما أكسب الكتاب قيمة علمية وخير دليل هو اعجاب الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك بما ورد فيه فقد اعتبره من الكتب العلمية المهمة في الطب.

-خاتمة:

توصلنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى مجموعة من النتائج التي ارتأينا تقديمها كالآتي:

- إنّ أولى محاولات التأليف عند العرب تعود إلى القرن الثالث للهجرة وكان الدافع لذلك خدمة النص القرآني، فاعتنت المؤلفات الأولى بالبحث في دلالات المفردات الدخيلة على اللغة العربية التي أطلقوا عليها في مصنفاتهم مصطلح غريب القرآن.
- عرف العرب منذ العصر العباسي الاهتمام بالبحث في مستويات اللغة وقد تجسّد المستوى الدلالي من خلال كتب أو رسائل الموضوعات ومعاجم الألفاظ التي انتهجوا في ترتيب مداخلها طرائق محدّدة.

-اهتم العرب منذ القرن الثالث للهجرة (العصر العباسي) بفروع العلم المختلفة وكان من بين الاختصاصات التي برع فيها العلماء العرب، اختصاص التداوي بالأعشاب فكان تركيزهم فيها على ذكر أسماء وأنواع الأعشاب وصفاتها واستعمالاتها في علاج الأمراض فأفردوا لها معاجم خاصة نذكر منها التذكرة لداوود الأنطاكي.

-يعدّ العالم الجزائري ابن حمادوش الجزائري (1695-1785م) عالما موسوعيا فقد اهتم بالطب والفلك والتاريخ وغيرها من العلوم فقد نقل المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله (1927-2013) في كتابه- تاريخ الجزائر الثقافي – أن ابن حمادوش الجزائري من العلماء البارزين في الحقبة العثمانية،

-لقد برع ابن حمادوش الجزائري في علم الفلك والهندسة وحركة النجوم بالإضافة إلى الطب وعلم النباتات واستعمالاتها في صناعة الأدوية، وقد ترك لنا كتابا نفيسا بعنوان "كشف الرموز" في اختصاص التداوي بالأعشاب فيه من المصطلحات الطبية ما يستدعي انجاز بحثا مهمة في موضوع المصطلح الطبي.

-كتب ابن حمادوش الجزائري (1695م-1785م) في موضوع التداوي بالأعشاب كتب عديدة في علوم عديدة ولعل أهم كتاب وصلنا في الطب أو- الطب الشعبي - كتاب بعنوان "كشف الرموز في بيان العقاقير والأعشاب" وقد خصصنا الجزء التطبيقي من بحثنا لدراسة خصائصه ومنهجه وقيّمته العلمية.

- اتبع ابن حمادوش الجزائري في كتابه منهجية واضحة في شرح وتعريف المداخل فيذكر أولا أصل العشبة الطبية ثم يذكر تسميتها في موطنها وتسميتها في اللهجات المجاورة في المغرب أو المشرق، ليقدم بعد ذلك أوصافها شكلا وحجما ولونا ورائحة، ثم يبين كيفية تحضيرها بالتركيز على أنواع الأمراض التي تعالجها.

-اتباع ابن حمادوش الجزائري منهجية علمية دقيقة في تأليف كتابه كشف الرموز تمثلت في الإحالة، ضبط المفهوم، تقديم أصل المصطلح، ذكر المقابل له في اللغات المتداولة في الجزائر (التركية والقبائلية) في عصره.

-وظّف ابن حمادوش الجزائري في كتابه "كشف الرموز" لغة علمية متخصصة أساسها وضوح الكلمة وإيجاز العبارة لأن الكتاب موجه للمهتمين باختصاص التداوي بالأعشاب.

المراجع:

- 1-أبو سكين، عبد الحميد محمد . (1981). المعاجم العربية مدارسها ومناهجها (. ط2). مصر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- 2-الجزائري، عبد الرزاق ابن حمادوش. (1996). كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب (. ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- 3-الحمد، علي توفيق. (2003). المعجم المختص في التراث العربي. مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد الأول(العدد 2)، 65-80.
- 4-القاسمي، علي. (1991). علم اللغة وصناعة المعجم (. ط2). المملكة العربية السعودية: مطابع جامعة الملك سعود.
- 5-بن مراد، إبراهيم. (1993). المعجم العلمي العربي المختص (. ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 6-حسين، محمد كامل وآخرون. (دس). الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب (. دط). تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- 7-حمادوش، عبد الرزاق ابن حمادوش. (1983). رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال عن النبأ عن النسب والحسب وال الحال (. ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

- 8-سعدالله، أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م (ط1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- 9-مدكور، إبراهيم. (1972). لغة العلم في الإسلام. مجلة مجمع اللغة العربية(29).
- 10-نصار، حسين. (1985). المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها (ط2). لبنان: دار العلم للملايين.
- 11-ياقوت، محمود سليمان. (2002). معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث (دط). مصر: دار المعرفة.
- 12-يعقوب، إميل. (1985). المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها (ط2. ج1). بيروت: دار العلم للملايين.